النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)
النصرانية في اليمن (تتمّة)

ولنا حتى اليوم دليل حسّي على تأثير نصرانيّة الحبشة في العرب ألا وهو ما دخل في اللغة العربيّة من الالفاظ الدينيّة الحبشيّة بعضها حبشيّ الاصل كالمنبر والمِصحف والحواريّ والمنافق والفاطر (اي الخالق) والجبت (اي الصنم) والشيطان والزّار وبعضها يوناني او سرياني وعبراني لكنّهُ دخل في العربيّة بواسطة الحبش كما تدلّ عليه صورتهُ الحاضرة كالانجيل وجهنم والتابوت والقلم والحرم والجنّ والرقية . وللعلّامة المستشرق نولدك بحث خصوصيّ في هذه الالفاظ (١

وكان شيوع الخطّ المُسند وهو الخطّ الحميري في بلاد العرب بفضل الحبشة واشتقاقهُ من الخطّ الحبشي القديم ظاهر . نقلوهُ الى اليمن في التاريخ السابق للميلاد ثم استعملوهُ في كتاباتهم الحجريّة الى ظهور الاسلام قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧١٤) عند وصفه كنيسة القليس ابن ابرهة كان كتب على بابها بالمُسند : « بنيتُ هذا لك (الاهم) من مالك ليذكر فيه اسمك وانا عبدك »

وفي مدّة ولاية الحبش على اليمن رحل الى الهند قبل الرحّالة Cosmas Indicopleustes (نحو السنة ٥٣٥ فعدّد ما وجده من الكنائس في طريقه وانتشار النصرانيّة في اواسط الشرق واقاصيه وقد خصّ بينها بلاد اليمن حيث قال ما تعريبهُ (٢ : « انك حيثما سرت تجد كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيّاحاً حتى بين اهل عربيّة السعيدة الذين يدعون بالحميريين كما في كلّ العرب ايضاً وبين النبط وبني جرم ... »

---

١) اطلب Th. Noeldeke: *Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft*

٢) اطلب مجموع آباء اليونان (Migne, P. G., t. LXXX, col. 169)

وان سأل السائل اكانت النصرانيّة في اليمن مستقيمة خالية من البدع. الجواب انّهُ من المرجّح انّ دينهم كان في اوّل الامر خالصاً من كلّ شائبة وكاثوليكيًّا محضاً لانّ الامبراطور يستينوس وخلفهُ يستنيانوس لحسن ديانتهما ما كانا ليسمحا للحبش ان ينشرا في بلاد العرب غير الايمان الارثذكسيّ الموافق لتعليم المجامع الاربعة الاولى. يثبت ذلك تكريم الكنيسة لملك الحبشة أَلِصْبان الذي كان مالكاً في وقت فتح الحبشة لليمن ثمّ جلوس ابرجنسيوس على كرسي اساقفة صنعاء وهو قديس تكرمهُ الكنيسة لقداستهِ. ولكن يظهر ايضاً انّ بدعة اوطيخا سرت الى جهات اليمن وكدّرت صفاء ايمانهم فانّ الحبشة في القرن السادس جنحوا الى تعاليم اليعاقبة فلا بُدّ ان اضاليلهم انعكس صداها بين العرب. والمؤرخون اليعاقبة قد بالغوا في ذكر شيوع هرطقتهم بين اهل اليمن كما يُستدلّ من تاريخ يوحنّا الآسيويّ (١ وكما نقلهُ ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨)

على انّ العُنصر العربيّ وسلالة ملوك اليمن لم يعودوا يطيقون نير الاجانب عليهم لاسيّما بعد موت ابرهة وقتْلك ابنيهِ يكسوم ومسروق على حمير فتشدّدا على الوطنيين واساءا اليهم الصنع فاخذ امراء حمير يطلبون لهم وسيلة لينجوا من الحبشة. وكان في مقدّمتهم سيف بن ذي يزن فاستنجد بملك الروم وطلب منهُ جيشاً ليُخرج الحبش من جزيرة العرب فلم تلقَ دعوتهُ اذناً صاغية فعدل الى كسرى ملك العجم فنصرهُ بجندٍ من صماليك دولتهِ تحت قيادة رجل اسمهُ وهرز فظفروا بالحبشة وبدّدوا شملهم وملك سيف بن ذي يزن لكنّ ملكهُ لم يدم زمناً طويلاً اذ فتك بهِ بعض الحبشة. ولم يليق العجم ان استولوا على اليمن فارسلوا اليهِ عمّالاً يحكمون عليهِ باسمهم كان اولهم وهرز ثمّ خلفهُ باذان وفي عهدهِ صارت اليمن في ايدي المسلمين

اما النصرانية فانّها لم تمت بنفي الحبشة بل بقيت في عزّها الى ظهور الاسلام. ولعل سيف بن ذي يزن عينهُ كان يدين بها فانهُ ما كان ليلوذ بالقيصر ملك الروم النصرانيّ لو دان هو باليهوديّة كذي نوّاس وكذلك قد مدحهُ الشاعر النصرانيّ اميّة بن ابي الصلت بقصيدتهِ الشهيرة التي اوّلها:

لا يطلبُ الثار الّا كابن ذي يزنٍ في البحر خيّم للاعداء احوالا

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani; BO, II, 381-386)

ولا شيء في هذه الابيات يُشعر بيهوديّة سيف. ولو عرف اهل نجران وعرب النصارى في اليمن انهُ ينتصر لليهوديّة لما مكّنوهُ من الملك

وعلى ظننا انَّ نساطرة العراق انتهزوا فرصة دخول الفرس في اليمن ليبشروا هناك بدعتهم ولعلَّهم كانوا سبقوا الى بثّها قبل ذلك فعزّزوها. وفي تواريخ النساطرة ما يصرّح بانتشار تلك البدعة في اليمن ومقاومتهم لليعاقبة. وفي كتاب الاغاني (١٠ : ١٤٨) انَّ عشرة من اساقفة نجران قدموا على نبيّ المسلمين وجادلوهُ فدعاهم الى المباهلة وكان رئيساً على نجران رجل اسمهُ السيد (١ فأعطى الامان هو وقومهُ

واخذ النصارى منذ ذاك الحين يضعفون في اليمن شيئاً فشيئاً ولا سيَّما بعد ان امر عُمَر باخراجهم من الجزيرة استناداً الى حديث يعزونهُ الى محمّد هذا منطوقهُ: « لأُخرجنَّ اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الّا مسلماً ». والظاهر انَّ هذا لم يتمّ بالحرف فانَّ لدينا عدَّة شواهد على وجود النصارى في اليمن في ايَّام الخلفاء. فمن ذلك ما ورد في اعمال طيموثاوس الكبير بطريرك النساطرة انَّهُ سام اسقفاً على نجران وصنعاء اسمهُ بطرس في اواخر القرن الثامن (٢ وجاء في كتاب الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ٣٤٩) ان المؤلف اجتمع براهب من نجران في اليمن يدعى حسّان كان انفذهُ جاثليق النساطرة الى الصين فعاد منها سنة ٣٧٧ (٩٨٨ م) واخبرهُ بعجائبها

وفي القرن السادس عشر ذكر الكاتب الاسباني اورديني دي سينالتوس (Ordeno de Cenaltos) انهُ في رحلتهِ الى المغرب لقي بعض قبائل عربيَّة احتفت بهِ واكدَّت لهُ انَّ اصلها من قبائل نصارى العرب في اليمن. وقد اخبرنا المرسلون الكبوشيون في عدن سنة ١٨٩٥ انَّهم وجدوا في بعض اهل اليمن آثاراً مسيحيَّة ظاهرة ورثوها من اجدادهم النصارى

الباب السادس

النصرانية في حضرموت وعمان واليمامة والبحرين

انَّ بلاد حضرموت وعمان واليمامة والبحرين مجاورة لليمن فكان ملوك اليمن

١) اطلب التاريخ الكنسي لابن العبري (Barhebræus : *Chron. Eccl.*, II, p. 116)
٢) اطلب مكتبة السمعاني (BO. IV, 609)

اذا قويت شوكتهم طمحوا اليها بالابصار وادخلوها في سيطرتهم. الّا انّ اخبار تلك الجهات نادرةٌ جدًّا لا يُعرف الّا القليل من امورها السياسيّة والادبيّة والدينيّة

﴿ حضرموت ﴾ ومنها بلاد مَهْرة ما وقع من جزيرة العرب شرقي اليمن بين اليمن وبحر الهند. روى ابن خلدون في تاريخه (١ انّ اسماء دولة مستقلة ملكت عليها بعد المسيح الى ايام الحبشة فلمّا صارت اليمن في حوزة الحبش ملكوا ايضاً حضرموت ولذلك لم يذكر ابن خلدون لحضرموت امراء بعد دخولهم الى اليمن فنوّه بسكوته الى انّها دخلت في حكم الحبش. فلا بُدّ اذن من ان يُقال انّ النصرانيّة دخلت ايضاً في حضرموت مع اولئك الفاتحين

وزد عليه انّ قسماً كبيراً من كندة كانوا يسكنون في حضرموت (٢ ومعلوم انّ النصرانيّة كانت الديانة الغالبة على كندة كما سترى

ثمّ انهُ كان لحضرموت عدّة مدن ساحليّة ذكرها بطليموس الجغرافيّ (٣ كانت تُقام فيها اسواق تجارية تقصدها الروم وغيرهم فكان اهل حضرموت يختلطون بتجار النصارى القادمين من انحاء شتى فيدينون بدينهم. وكان يسكن بعض هؤلاء النصارى الجزائر المجاورة التي لدينا شواهد على نصرانيتها قبل الاسلام بزمن مديد. قال قزما الرحالة (Cosmas, P. G., T. 88,col. 169): « وفي جزيرة تابروبانا (وهي سيلان ويدعوها العرب سرنديب) في بحر الهند كنيسة للنصارى مع عدد من الاكليريكيين والمؤمنين. وكذلك في مالي (مابار) حيث يُجنى الفلفل. وفي جزيرة كاليانا استف يُسام في العجم ويُرسل اليها. وفي جزيرة ديوسقوريدس (وهي سقطرى القريبة من سواحل العرب) كذلك اكليريكيون يرسمون في العجم وهناك جمعٌ غفير من النصارى »

وما يدلُّ على علاقات هؤلاء النصارى مع سواحل العرب ما قرأناهُ في كتاب سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاريّ من مخطوطات مكتبة باريس (ص ١٠٦) عن مهرة وسقطرى:

---

١) اطلب تاريخهُ المطبوع في مصر (٢ : ٢٥٢) ٢) فيه (٢ : ٢٥٣)

٣) اطلب جغرافيّتهُ طبعة ديدو (ص) ثمّ كتاب گلازر (Ed. Glaser: *Skizze d. Geschichte u. Geogr. Arabiens*)

وبجزيرة سقطرى من جميع القبائل من مهرة وهي جزيرة طولها ٣٠٠ فرسخ وبها العنبر السقطري . . . وكان اهلها من اولاد الروم فدخلوا في نسب القُمر من مهرة وهم مروفون. (قال) وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى وذلك انهم يذكرون انّ قوماً من بلاد الروم طرحتهم بها كسرى فتمسروا بذلك الموضع حتى غلبت اليهم مهرة فغلبت عليهم وعلى الجزيرة. (قال) وقد يقولون انهُ لم يكن بها روم ولكن رعيانيّة على دين الروم من النصرانيّة ثمّ دخلتها الثراة من مهرة وحضرموت وقتلوا من بها

وقد بقي قوم من النصارى في سقطرى حتى القرن السادس عشر كما ورد في رسالة للقديس فرنسيس كسفاريوس كتبها عند سفره الى الهند وكان نزل الى سقطرى ورأى فيها بقايا النصرانيّة

ويثبت انتشار النصرانيّة في حضرموت ما جاء في كتاب طبقات ابن سعد في فصل الوفادات فذكر وفد حضرموت واورد قول احد الوافدين اسمهُ كُليب بن اسد:

انت النبيّ الذي كنّا نُخبّرهُ وبشّرتنا بك التوراةُ والرسلُ

فكفى بهذا دليلاً على وجود النصرانيّة في حضرموت (١

﴿ عُمان ﴾ شمالي حضرموت واقعة على شواطئ بحري الهند والعجم وحاضرتها صُحار وكانت النصرانيّة دخلت اليها بواسطة دُعاة اتوها من العراق. وفي التواريخ الكلدانيّة اسماء اساقفة كانوا في عمان (وهم يدعونها مَزُون) منذ القرن الخامس كيوحنان سنة ٤٢٤ وداود (٤٤٤) وشمويل (٤٧٦) واسطفان (٦٧٦). وفي جملة الرسائل التي بعث بها رسول الاسلام الى الملوك رسالة وجّهها الى ملك عُمان المسمّى جَيْفَر بن الجلندى من ازد عمان كان نصرانيًّا هو واخوهُ عبّاد ويقال عَبْد وعُبَيْد. فنصرانيّة الملك تشير الى نصرانيّة البلاد الخاضعة لهُ

وكان في عمان ادبرة للنصارى يشير اليها صاحب الاغاني. وجاء في تاريخ ابن الاثير (١ : ٢٣٤) انّ قيس بن زهير «لمّا تنصر ساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهّب بها»

﴿ البحرين ﴾ هي البلاد الساحليّة الواقعة في شرقي جزيرة العرب على سواحل خليج العجم حيث مغاصل اللؤلؤ الشهير كان اهلها في الجاهليّة من بني عبد القيس وهي احدى القبائل المعروفة بنصرانيّتها قال الشاعر ذو الرمّة في بعض احيائهم (اطلب نسخة مكتبتنا الخطيّة (ص ٥٧):

(١ اطلب (Wellhausen: *Skizzen u. Vorarbeiten*, IV, 178)

ولكنَّ اصلَ امرئ القيس سُرّيٌّ يحلُّ لهم أكلُ الخنازير والخمرُ

وفي البحرين مغاص اللؤلؤ الشهير الذي لا يزال اهل تلك الانحاء يستخرجون منهُ الدرر الثمينة وقد مررنا بهِ في رحلتنا من بغداد الى الهند . ولاهل البحرين عادات نصرانيَّة تناقلوها ابًا عن جدّ حتى اليوم ولشار اليها السيّاح الالمانيون الذين طافوا تلك البلاد كصورة الصليب يرسمونها على جباههم او يطبعونها بالوشم على اعضائهم وكاكرامهم للخبز ذكرًا بالقربان الاقدس . وقد لحظ ذلك منهم احد آباء رهبانيتنا منذ ثلاثين سنة في دمشق وكان قوم منهم قصدوها للاسترزاق

وكانت بلاد البحرين والاحساء المجاورة لها تحت حكم الفرس منذ ظهور الاسلام وكان اهل الارض كما اثبت ياقوت في معجم البلدان (١ : ٥٠٨) « من المجوس واليهود والنصارى » وكان العامل عليها احد بني تميم المتنصرين اسمهُ المنذر ابن ساوي

وكان للنساطرة في بلاد البحرين اساقفة وخصوصاً في قطر وهم يسمونها بيت قطرايا (١ . ويذكرون في مجمعهم الذي عقدهُ سنة ٥٨٥ الجاثليقُ يشوعياب اهلَ البحرين المتنصرين وياْمرونهم بالكفّ عن الشغل يوم الاحد ان امكنهم الامر والاَّ اعفوهم من ذلك لاجل الضرورة . وقد ثبت هؤلاء النصارى على دينهم بعد الاسلام كما يظهر من مجمع آخر نسطوري عُقد سنة ٥٧ هـ (٦٧٦ م) دبَّر فيهِ الآباء عدَّة امور دينيَّة . ومنهُ يظهر ان بلاد البحرين كانت حافلة بالكنائس والاديرة ودُعاة الدين وكان اذ ذاك على قطر اسقف اسمهُ توما

وكان لتصبة بلاد البحرين وهي هَجَر اسقف يُدعى اسحاق ذُكر في مجمع النساطرة سنة ٥٧٦ وورد ذكر اسقف آخر يُدعى فوسي سنة ٦٧٦ (٢

ومن جزائر البحرين دَارين ويقال دَيْرين ذُكر لها في تواريخ النساطرة ثلاثة اساقفة بولس سنة ٤١٠ ويعقوب ٥٨٥ ويشوعياب سنة ٦٧٦ (٣

---

١) اطلب كتاب المجامع النسطوريَّة المنشور حديثًا (J. B. Chabot: *Synodes Nesto-rien*s, p. 189 et 448)

٢) اطلب كتاب المجامع المذكور: (Ibid. 387, 482)

٣) فيه (Ibid., 482, 618)

ومن مدن الاحساء الخطّ وهي بلدة تُنسب اليها الرماح الخطيَّة وكان القرس يدعونها بيت اردشير وكان للنساطرة فيها كنائس ذُكر من اساقفتها اسحاق سنة ٥٧٦ وشاهين سنة ٦٧٦ (١

﴿ اليمامة ﴾ وربما سُمّيت بالعَروض والجوّ وتُلحق باقليم الأحقاف هي مفاوز متسعة في الجنوب الغربيّ من عمان بين الاحساء شرقاً والحجاز غرباً كانت قصبتها حَجر بفتح اوّلها مدينة كبيرة. والعرب يجعلون فيها قوماً من الجبابرة من طسم وجديس. وما لا ينكر انَّ النصرانيَّة انتشرت في تلك الانحاء بعد قسطنطين الكبير فان عمرو بن متى في كتاب فطاركة الشرق ذكر ان عبد يشوع السانح بشر بالنصرانيَّة في جهات اليمامة في اواخر القرن الرابع للمسيح

وكان معظم سكّان اليمامة قبل الاسلام بني حنيفة ممّن يشهد الكتبة المسلمون على نصرانيَّتهم (٢ وكان يملك عليهم قبل ظهور الاسلام بقليل هوذة بن علي الذي كان اسر قوماً من بني تميم ثمّ اطلقهم يوم عيد الفصح كما ذكر ابن الاثير في تاريخه (ج ١ ص ٢٦٠ من طبعة مصر) فقال الاعشى يمدحهُ لفعلهِ:

جم يقرّبُ يومَ الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

على انَّ بعض الكتبة زعموا انَّ بني حنيفة كانوا يعبدون صنماً من عجين ثمّ اتت عليهم سنة فاكلوهُ فهجاهم البعض بقوله:

اكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحُّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربِّهم سوء العقوبة والتباعَهْ

وعندنا انَّ هذه الشكوى باطلة وانَّ الذين نسبوا الى بني حنيفة اكل صنم من عجين انَّما خُدعوا بما رأوهُ من تقريبهم من القربان الاقدس فان الاصنام لا تُتخذ من العجين ولا تسدّ جوع كثيرين في أيام القحط فضلاً عن كون العجين اليابس العتيق لا يصلح لأكل

وممَّا يدلُّ على نصرانيَّة اليمامة مقاومة اهلها للمسلمين تحت قيادة مسيلمة الذي

---

١) فيو Ibid., 387, 482

٢) اطلب كتاب ارنلد في الاسلام والنصرانية Arnold (J. M.): *Islam, bis History and Relations to Christianity* p. 54

عُرف بالكذّاب وكان نصرانيًا هو وسجاح التغلبيّة امرأتهُ . وقيل انّ امر مسيلمة المذكور قد تفاقم حتى خاف المسلمون فتنتهُ وكان يتلو قرآنًا كرسول المسلمين ذكرهُ عبد المسيح الكندي في ردّهِ على الهاشميّ (ص ٨٧ من طبعة اكسفرد) فدخل عليهِ قوم ليلًا واغتالوهُ وكفوا شرّهُ

هذه بعض شواهد على وجود النصرانيّة في البلاد العربيّة المتوسطة بين اليمن والعراق المجاورة لبحر الهند وخليج العجم وفيها دلائل كافية على ما كان للدين المسيحيّ من النفوذ في تلك الجهات التي لم يفدنا عنها المؤرخون الّا الفوائد الزهيدة

(لهُ تتبع)

مطبوعات حديثة

RUDIMENTA LINGUÆ HEBRAICÆ scripserunt Dr C. H. Vosen et Dr F. Kaulen, 9a ed. quam recognovit et auxit Prof. J. Schumacher, *Fribourg, Herder*, 1911, XI-171, *broché* 2,50

اصول اللغة العبرانية

لهذا الكتاب صفات ممتازة جلبت اليهِ انظار طالبيّ اللغة العبرانيّة حتى انّ طبعهُ أعيد لتاسع مرّة في هذه السنة . ومن اخصّ هذه الصفات انّ لاتينيتهُ واضحة خالية من كل تعقيد وهو يحتوي من اصول العبرانيّة ما يكفي لفهم الاسفار المنزلة عمومًا . وهو على ثلاثة اقسام قسمٌ نظريّ يفسّر صرف اللغة وتركيب جملها . وقسمٌ عمليّ فيهِ منتخبات شتى من الكتب المقدّسة تصلح للترجمة او للتمارين اللغويّة . والقسم الثالث فيه اخصّ الفردات التي يحسن بالدارس حفظها مع معجم للالفاظ الواردة في نصوص الكتاب . فترى انّ هذا التأليف مع صغر حجمهِ ينوب عن عدّة تآليف ويصلح ليس فقط للمدارس التي اعتادت درس العبرانيّة ولكن لكلّ من يجبّ ان يطلع في وقت قصير على فرائد هذه اللغة وخواصها . وممّا نشير بهِ الى متولي طبعهِ ان يتخذ الامثلة من اجزاء الاسفار المقدّسة النثريّة ويذكر موضعها في التوراة ليعود الدارس اليها في مرجعها ويفحصها في متنها وقرائنها ب . جزون